جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

ماجستير لغة: أ.د أمل صالح مهدي

عنوان المحاضرة: علاقة أصول النحو بعلم النحو وعلم أصول الفقه

المحاضرة الثانية

المحاضرة الثانية

العلاقة بين علم النحو وعلم أصول النحو :

فعلم النحو: هو العلم الذي يتناول القواعد والمقاييس التي تمّ استنباطها من الكلام العربي الفصيح كما ذكره السابقون في تعريفاتهم ، أمّا علم أصول النحو فهو العلم الذي يبحث في الأدلة النحوية الأساسية لاستخراج الأحكام والقواعد الفرعية لعلم النحو ، مما يقود إلى فهم العلاقة القائمة بين العلمين ، والتي تصنّف على أنّها علاقة مبنية على التكامل ، فحتى يتمّ وضع القواعد والأحكام المتبعة في علم النحو في علم النحو يلزم اسنادها إلى أدلة أصولية وضعها النحاة أثناء دراستهم لفروع النحو ، ومن خلال هذه القواعد الأصولية الأساسية يتم بناء علم النحو العربي بفروعه وأصوله ، فعلم أصول النحو هو المعيار والميزان القويم الذي يقوم عليه علم النحو ، ويقول فاضل السامرائي بهذا الخصوص أنّ علم أصول النحو قديم حاله حال علم النحو ، ويعلل علاقة وجودهما معا بأنّ القبول ، والترجيح ، والرفض والقياس للقواعد الخاصة بالنحو كان لابد لها من أصول مكتوبة ، أو أن تكون معلومة لدى علماء النحو ، كما ذكر أنّ كتاب سيبويه المسمّى (الكتاب) ، مليء بالأصول النحوية .

العلاقة بين علم أصول النحو وبين علم أصول الفقه :

يمكن توضيح العلاقة بين علمي أصول الفقه ، وأصول النحو من خلال الرجوع إلى تعريف كلّ واحد منهما ، فعلم أصول الفقه هو العلم الذي يبحث في القواعد التي يتمّ من خلالها استخراج الأحكام الشرعية الفرعية من الأدلة ، وهذا ما يجعل الأصولي يبحث في الأدلة الكلية ، أمّا الفقيه فهو الباحث في الأدلة التفصيلية ، أمّا أصول النحو ـ كما ذكر سابقاـ تعنى بأدلة النحو الكلية التي جاءت منها فروعه ، وبالنظر إلى التعريفين يمكن الاستنتاج أنّ المبدأ واحد لكليهما ، فكلمة الأصول إذ اتصلت بعلم ما عَنت البحث في الأدلة العامة للعلم التي يتمّ من خلالها التوصل إلى العلم الأصلي وفروعه ، ثمّ يأتي العلم ليفصّل في أدلته الجزئية ، وهذا هو موضع التشابه بينهما ، أمّا موضع الاختلاف فيكمن في طبيعة المواضيع التي يتناولها كل علم ، وتجب الإشارة إلى وجود رابطة اللغة العربية رغم اختلاف المواضيع ، فالعالم بأصول الفقه وجب أن يكون ملمّا في قواعد اللغة العربية ، وقد أكّد الإمام (ابن حزم) ذلك بقوله : " لا بدّ للفقيه أن يكون نحويًّا لغويّا ، وإلّا فهو ناقص " ، فعلى

الفقيه أن يكون ملمًّا بما يعينه على فهم خطابات الناس ، ومعرفة عاداتهم وما تعارفوا عليه من الكلام ليستطيع التمييز بين ظاهر الكلام وباطنه ، والابتعاد بذلك عن مواطن الزلل ، أشار السبكي علي بن عبدالكافي في كتابه (الإبهاج في شرح المنهاج) إلى أنّ الأصوليين من أهل الفقه تفوّقوا على علماء النحو واللغة في دراستهم لأصول النحو في بعض الأحيان ، حيث توسعوا لدراستهم لكلام العرب وتحليلهم للمعاني الدقيقة للألفاظ ، فكتب اللغة جاءت تضبط المفردات مع معانيها الظاهرة فقط ، أمّا أهل أصول الفقه فقد كانوا بحاجة إلى دراسة ما هو أبعد من الظاهر اللغوي لفهم النص بكل تفاصيله ، ومن الشواهد على هذا دلالة الوزن الصرفي (أفعل) على حكم الوجوب ، ودلالة (لا تفعل) على حكم التحريم على سبيل المثال لا الحصر ، كما يجب التنويه أنّ الأصوليين من أهل النحو وضعوا العديد من القواعد الأصولية التي وضعها أهل أصول الفقه مثل السماع ، والقياس ، والاجتهاد ، والحال ، والاستصحاب ، وغيرها ، وبالنظر إلى العلمين يلاحظ تأثر كلّ واحد منهما بالآخر .

أقسام أصول النحو : قسّم الأصوليون من أهل النحو أصول النحو إلى قسمين هما :

١ـ أصول النحو الغالبة : وهي الأصول التي غلب على الأصوليين الأخذ بها إذ يتمّ اعتمادها لضبط قواعد اللغة العربية ، وهي أربعة : السماع أو النقل والقياس والاجماع واستصحاب حال .

٢ـ الأصول غير الغالبة : وهي العلة والاستحسان والاستقراء وغيرها .

تقسيم أصول النحو عند العلماء :

١ـ ابن جني (٣٩٢هـ) في الخصائص : أدلة النحو عنده : السماع والاجماع والقياس .

٢ـ ابن الأنباري (٥٧٧هـ) في لمع الأدلة : أدلة النحو عنده : نقل ـ قياس ـ استصحاب حال .

فتحصل من مجموع قوليهما أربعة أدلة هي : السماع أو النقل ، والقياس ، والاجماع واستصحاب حال . وقد ألحق بها ابن السراج العلة .

٣ـ السيوطي في الاقتراح : أدلة النحو عنده : السماع ـ النقل ـ الاجماع ـ القياس .

السماع

السماع : هو أصل من أصول النحو واللغة ودليل من أدلتها ، سمّاه ابن الأنباري (النقل) ، وعرفه بأنه " الكلام العربي المنقول النقل الصحيح الخارج عن حد القلة إلى حدة الكثرة ، أمّا السيوطي فعرفه بقوله : " وأعني به ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وكلام نبيه ﷺ، وكلام العرب، قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين، نظما ونثرا، عن مسلم أو كافر، فهذه ثلاثة أنواع لا بد في كل منها من الثبوت " .

وقد اعتمد علماء العربية الأوائل عليه في تدوين اللغة التي كان يتكلم بها العرب الخلص وكانت غايتهم من ذلك المحافظة على لغة العرب من التأثر باللغات الاعجمية والاضمحلال والدروس فيها ، هذا الاضمحلال الذي يؤدي بالتالي إلى الجهل بلغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وإلى عدم فهمه ، والعجز عن استنباط الأحكام الدينية والدنيوية ، الشرعية والإدارية والاجتماعية بعد اختلاطهم بالأعاجم وانتشار اللحن ، يضاف إلى ذلك حاجة هؤلاء الأعاجم الداخلين في الدين الإسلامي إلى معرفة اللغة العربية لغة القرآن الكريم ولم تكن لعلماء العربية من طريقة لحفظ لغتهم سوى اللجوء إلى تدوينها بعد سماعها من المتكلمين بها كما فعل غيرهم من الأقوام التي سبقتهم عندما أرادت الحفاظ على لغتها .

وكان القرن الأول للهجرة بداية الانطلاق إلى جمع مواد اللغة عن طريق الرواة واللغويين يحثهم على ذلك قول عبدالله بن عباس : "إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فإنّ الشعر ديوان العرب " وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعرا .

وكان الخلفاء الأمويون من المشجعين للرواة واللغويين بجوائزهم وتكريمهم إياهم وفعل الأمر نفسه الخلفاء العباسيون ، في حين بلغت عملية جمع اللغة وتدوينها أوج نشاطها في القرنين الأول والثاني الهجريين ، وكانت البداية على يد علماء البصرة ثم علماء الكوفة فعلماء بغداد . وقد جعلوا من البادية مجالا لاستقرائهم ولسماعهم اللغة الفصحى من س

ولم تفسدها عجمة ، يروون ما يسمعون ويكتبون في صحفهم التي ترافقهم في حلهم وترحالهم كل هذا . والخليل مع عظمته وبراعته وذكائه اعتمد في كل ما جمعه من اللغة في مؤلفه (العين) وفي كل ما بنى عليه قواعد النحو واللغة ونحوها على المسموع عن الأعراب ، وقيل حذا الكسائي حذو الخليل حيث خرج إلى البادية ثم رجع وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه . وعلى هذا الأساس نرى أنّ السماع هو الأساس الأول الذي دونت بموجبه اللغة لأنه الطريق الطبيعي إلى تعرّف كنه اللغة وتبين خصائصها .

. .

. وقد اهتم علماء اللغة الأوائل بالمسموع أو المنقول من اللغة كاهتمام علماء الحديث بالأحاديث النبوية الشريفة فبحثوا أنواعه وبينوا درجة المسموع من حيث الكثرة والقلة ،والجودة والرداءة . واهتموا بالسند ورجاله وطبقاتهم وبينوا الموثوق به والمطعون فيه منهم ، وجاوزوا ذلك إلى النص ، وقائله وفصاحته أو فصاحة لغة قبيلته التي هو منها أو التي تكلم بلغتها ، وبكثرة الوارد منه أو قلته بحسنه أو رداءته باطراده أو شذوذه .

وقد قسموا المسموع إلى قسمين : تواتر و آحاد .

فأما التواتر : فلغة القرآن الكريم وما تواتر من السنة وكلام العرب ، وهذا القسم دليل قطعي من أدلة النحو يفيد العلم .

وأما الآحاد : ما تفرد بنقله بعض أهل اللغة ولم يوجد فيه شرط التواتر ، وهو دليل مأخوذ به .

كانها الذين لم تشب ألسنتهم شائبة لحن